

أ.د. سعد بن علي الشهراني
عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة جامعة أم القرى



مقدمة:

الحمد لله فاطر السموات والأرض، فطر عباده على توحيده ومعرفته، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة لعلهم يشكرون، والصلوة والسلام على من أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد:- لقد عظم الإسلام أمر الفطرة وأعلى شأنها، حيث وصف الله تعالى في القرآن الكريم الدين بها، وأمر باتباعها وحذر العباد من تغييرها مبيهاً أن اتباعها هو سلوكك للدين الذي ارتضاه الله وجعل مستقيماً قِيماً لجميع ما يحتاجه البشر في أمر دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَىٰهَا لَّا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ الْمَلِكِ ذَلِكَ الْمَدِينِ الْقَيِّمِ وَلَئِن لَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَآيَ عِلْمُونَ﴾ [الروم:30]. ومن تعظيم

الإسلام للفطرة أنه جعلها الأساس السابق لأي دليل شرعي أو عقلي. فرسالة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وشرائعهم مكملة للفطرة ومذكورة بها، وهذا ما بينه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ [الغاشية:21]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:37].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله في هذا المعنى: «الرسول إنما تأتي بتذكير الفطرة ما هو معلوم لها، وتقويته وإمداده، ونفي المغير للفطرة، فالرسول بعثوا بتقرير الفطرة وتكملها، لا بتغيير الفطرة وتحويلها، والكمال يحصل بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة».

إن معرفة الله تعالى فطرية، والمراد بهذا أن كل إنسان يولد على صفة تقتضي إقراره بأن له خالقاً مدبراً، وتستوجب معرفته إياه، وتألُّه له.

وهذه الصفة ذاتها هي القوة المغروزة في الإنسان، التي تقتضي اعتقاده للحق دون الباطل، وإرادته للنافع دون المضار، وإذا كان قد عُلِّم بالبراهين اليقينية المقاطعة، أن وجود الخالق هو أعظم الحقائق، وأن معرفته والتألُّه له أعظم المنافع، فإنه يتعين بذلك أن يكون في الفطرة ما يقتضيه معرفة المصانع والإيمان به.

والقرآن الكريم كلام رب العالمين يجلي هذه الحقيقة ويقررها بأدع البيان، وأوضح البرهان. غير أنه مما يؤسف له إعراض بعض المسلمين عن هذه الحقائق الربانية، وإنكارهم لهذه المعرفة الفطرية.

فجهاهير المتكلمين على اختلاف طوائفهم يقررون أن معرفة الله نظرية، وأنها إنما تدرك بالمنظر والاستدلال، ويجعلون الطريق إلى معرفته تعالى المنظر، فأوجبوه على كل مكلف وجعلوا لهذا المنظر طرقاً وأدلة كلامية وفلسفية صعبت على نظارهم فضلاً عن عامة المسلمين.

وقولهم يتناقض مع القول بفطرية معرفة الله، لأن المعارف الفطرية لا تحتاج إلى نظر واستدلال، وإنما تكون معلومة بالمباشرة والفطرة. إن حديث القرآن الكريم عن هذه المعرفة الفطرية كاف شاف شامل لحقيقتها وبيان المراد منها. ولو رجعنا للقرآن الكريم بفهم سلفنا الصالح لوجدنا فيه غنية عن المناهج والمدارس الكلامية والفلسفية التي أشغلت المسلمين بمسائل لا تبني اليقين والإيمان بل تؤسس للشك والحيرة والاضطراب، ومما يؤسف له أن هذه المسائل والدلائل البديعية لا تزال تشغل حيزاً في مناهجنا التعليمية معرضة عن المنهج القرآني الرباني ذلكم الوحي المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولما من خلفه.

ولقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة التي أجريت على فئات مختلفة من الناس في مناطق متعددة وبواسطة علماء من جامعات أكاديمية مشهورة: (أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هي إحدى النزعات العالمية الخالدة).

وقد سبقهم القرآن العظيم بتقرير هذه الحقيقة التي لا ينازع فيها إلا مكابر!

والله تعالى أسأل أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء همومنا وهاديننا إلى الصراط المستقيم.

لتنزيل البحث كاملاً ([اضغط هنا](#))